

الأوراس دراسة في الخصائص الطبيعية والمميزات البشرية عبر التاريخ

The Aures a Study in Human Characteristics And Natural Features Through History

غانم العربي*
جامعة باتنة 1 (الجزائر)
larbi.ghanem@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/27 تاريخ القبول: 2024/12/18.

● الملخص:

احتلت بلاد المغرب منذ القدم موقعا استراتيجيا هاما، ذلك أنها عدت بمثابة حلقة تواصل بين الحوض الغربي للبحر المتوسط والمنطقة الصحراوية جنوبا، و بالتالي فالمنطقة تعد رابطة بين الحضارتين الأفريقية و المتوسطية، و ساعدها على ذلك معالمها الجغرافية و المناخية، اذ استقر الانسان المغربي القديم في الكهوف و الملاجئ الصخرية التي توفرها التضاريس كالسلسلة الأوراسية، و مع التطور الزمني استقر الانسان و خاصة في الأوراس بالاماكن المرتفعة و في مساكنه على المرتفعات الصخرية، ثم توفرت الظروف الزراعية السهلة، استقر الأوراسي على سفوح الجبال و ضفاف الأودية، و مارس زراعة البستنة و تربية الماشية كإقتصاد معاشي، تماشا و الخصائص الطبيعية التي فرضت نوعا من التأثير على حياة الأوراسي، و منه فإن هذه الدراسة تحاول ان تحدد معالم تأثير الطبيعة الجغرافية للأوراس، على نمط حياة السكان و بالمقابل تكيف الانسان معها و الاستقرار بها.

الإشكالية المطروحة تتمثل في الى أي مدى كانت الخصائص الطبيعية لمنطقة الأوراس عاملا مؤثرا في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية للإنسان الأوراسي عبر العصور. و للإجابة عن الإشكالية اعتمدت المنهج التاريخي بأدواته المختلفة من وصف و تحليل و نقد و مقارنة قصد وصول الدراسة الى الهدف التي وضع سلفا، و كذلك الأهمية المنتظرة منها. و عموما فان النتيجة التي نتوصل اليها هي ان الانسان الأوراسي و رغم قساوة الظروف الطبيعية للأوراس و قساوة المناخ الا انه تمسك بارضه و استقر بها و دافع عنها ضد كل دخیل و ما الثورات التي خاضها عبر التاريخ الا دليل على ذلك.

كلمات مفتاحية: الأوراس، التعمير، المقاومة، الخصائص الطبيعية، المميزات البشرية، السلاسل الجبلية.

Abstract:

Ancient Maghreb occupied a strategically important position as a vital link between the western Mediterranean basin and the southern Saharan region. Its geographical and climatic features facilitated this role, as the ancient people who belong to this area settled in caves and rock shelters provided by the Atlas Mountains. Over time, they adapted to the challenging environment, establishing settlements in elevated areas and practicing agriculture and livestock farming. This study aims to examine the influence of the geographic and climatic characteristics of the Atlas Mountains on the social and economic life of the ancient Atlas people throughout history. By employing historical methodology, including description, analysis, critique, and comparison, the research seeks to determine the extent of this impact. Despite the harsh conditions, the Atlas people displayed a strong attachment to their land and actively defended it against external threats, as evidenced by the revolutions fought over the years.

Keywords: The Aures, Settlement, Resistance, Natural characteristics. Human features, Mountain ranges.

والسلسلة عبارة عن امتداد لما يعرف جغرافيا بـ "سلسلة الأطلس الصحراوي"، تمتد هذه الأخيرة من الجنوب الغربي، إلى الشمال الشرقي الجزائري، والتي تتشكل من: جبال القصور، جبال لعمور، جبال ولاد نايل، ثم جبال الأوراس، هذه الأخيرة تتربع على مساحة تقارب 50 ألف كلم²، شاملة بذلك ولايات عديدة نذكر منها: باتنة، خنشلة، أم البواقي، و تبسة، ثم أجزاء من ولايتي بسكرة وسوق أهراس، أو ما كان يطلق عليه بالجنوب القسنطيني.

عمر واستقر الإنسان منذ القدم في هذا الفضاء الجغرافي، و بنى العديد من المداشر والقرى في سفوح الجبال، وضاف من الأودية مستغلا التساقطات المطرية التي تغذيها، خصوصا في فصلي الشتاء والربيع.

مارس الأوراسيون زراعة البستنة وتربية الماشية كنوع من الاقتصاد المعاشي، الذي ساهم في تمسكهم بأرضهم واكتسابهم لمميزات اجتماعية خصوصا التعلق الكبير بالأرض ومواجهة كل دخیل أو محتل عبر العصور.

تحاول هذه الورقة البحثية التركيز على الخصائص الطبيعية التي تميز منطقة الأوراس من حيث التضاريس والمناخ، ومدى تأثيرها على الساكن وكذلك المميزات البشرية التي يتصف بها سكان الأوراس من حيث الاستقرار وتخطيط القرى و المداشر، وكذا النشاطات الاقتصادية الممارسة من فلاحية وصناعة وتجارة وطرق مواصلات.

و سوف أركز على منطقتين أساسيتين هما: منطقة الوادي الأبيض ومنطقة وادي عبيدي، ذلك أن المميزات والخصائص سواء الطبيعية أو البشرية، تتجلى فيهما بوضوح.

1. الخصائص الطبيعية للأوراس:

اختلفت الكتابات حول أصل تسمية الأوراس، ذلك أن لفظة الأوراس وردت لها الكثير من المعاني في فترات زمنية مختلفة، حيث تحدث عنها "بطليموس" خلال القرن الثاني للميلاد و اطلق عليها اسم "أودوس"، أما خلال القرن السادس ميلادي فقد أطلق عليها المؤرخ البيزنطي "بروكوب" اسم "Nous aurasuis"، و أخص بهذه التسمية¹ المنطقة المحصورة بين باتنة و خنشلة شمالا، و زريعة الوادي و خنشلة شرقا، و زريعة الوادي و بسكرة جنوبا، و بسكرة و باتنة غربا.

كما تحدث المؤرخون العرب عن بلاد الأوراس، فنجد على سبيل المثال المؤرخ "البكري" الذي وصفها خلال القرن الخامس هجري قائلا: "... هو جبل على مسيرة ستة أيام و فيه قلاع كثيرة..."، كما أوردها "ابن حوقل" في كتاباته خلال القرن العاشر ميلادي بقوله: "... و جبل الأوراس فيه المياه الغزيرة و المراعي الكثيرة و العمارة الدائمة..."²

فيما يذكر "محمد صالح ونيسي" في كتابه "الأوراس تاريخ و ثقافة"، أن كلمة "أوراس" مشتقة من اسم الجبل الوحيد المتداول منذ العصر الروماني و البيزنطي إلى غاية يومنا هذا، و على العموم فإن الأوراس هي سلسلة جبلية تقع في الشرق الجزائري، و يقال أن أصل تسميتها يعود إلى اللغة الأمازيغية³.

1 - أمزيان وناس - الانصهار الثقافي الأمازيغي في منطقة الأوراس و تأثيره في هوية السكان - مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية - د.ت - ص 453

2 - مسعود عثمان - أوراس الكرامة و أمجاد و أنجاد - دار الهدى - عين مليلية - الجزائر - 2008 - ص 11

3 - محمد الصالح ونيسي - الأوراس تاريخ و ثقافة - الطباعة العصرية - الجزائر - 2007 - ص 18

و جغرافيا فإن الأوراس هي سلسلة جبلية حديثة التكوين متوسطة الارتفاع، أعلى قمة بها هي قمة شليا والتي بلغ ارتفاعها 2328م عن مستوى سطح البحر، الواقعة بين ولايتي باتنة و خنشلة، والسلسلة - كما تؤكد الدراسات الجيولوجية - هي حديثة التكوين عمرها ما بين مليون إلى مليونين و نصف سنة تشكلت بفعل العوامل التكتونية متمثلة في الانكسارات والالتواءات التي تعرض لها الشمال الإفريقي¹، تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي الجزائري.

تتميز المنطقة بسلسلة من الجبال المتصلة فيما بينها، كما تتميز أنها إحدى الكتل الجبلية الحصينة، التي يسهل الدفاع عنها و في نفس الوقت يصعب اختراقها و التغلغل داخلها، و لعل هذه المميزات و الخصائص التي تميز جبال الأوراس هي ما جعلت الأحداث التي عرفتها المنطقة عبر العصور تكتسي أهمية بالغة.

وتشكل جبال الأوراس إلى جانب جبال القصور، جبال لعمور، و جبال أولاد نايل، ما يعرف بسلسلة الأطلس الصحراوي، و هي موازية لسلسلة أخرى، تمتد في الشمال الجزائري تعرف بسلسلة الأطلس التلي، وبالتالي سلسلة الأطلس الصحراوي تعد الحاجز الطبيعي بين الصحراء الكبرى والمناطق التلية في الجزائر².

و قد تعرضت هذه الكتلة إلى حركتين إلتوائيتين، إحداها في بداية الزمن الجيولوجي الثالث و الثانية في نهايته، و لهذا ظلت هذه الكتلة الجبلية شديدة الارتفاع، معقدة و صعبة الاختراق، تمتاز بقمم شاهقة تغطيها الغابات، و تميل في انحدارها نحو الجنوب.

إن جل تضاريس السلسلة عبارة عن جبال تفصل بينها خنادق³ استغلها الإنسان الأوراسي كطرق تواصل مع سكان التخموم الجنوبية أو الشمالية، و منها مثلا خانق تاغيت على الواد الأبيض، خانق بني سويك على واد عبيد و خانق القنطرة على الواد الحي.

بعدها قامت الدولة الجزائرية - حاليا- بمد طرق مواصلات برية (معبدة، سكك حديد)، على نفس تلك الخنادق، إذ نجد الطريق الوطني رقم 31 على الخانق الأول يربط مدينة باتنة بمدينة بسكرة جنوبا، ثم الطريق الوطني رقم 87 على الثاني والطريق الوطني رقم 03 على الثالث، و جميعها تقريبا بنفس المسافة ونفس الاتجاه (120 كلم).

تتكون السلسلة مما يزيد عن 50 جبلا، متصلة ببعضها البعض و تنقسم إلى قسمين هما:

1-1 جبال الأوراس الشرقية:

أهمها جبل شليا و ذكرنا سابقا أنها أعلى قمة في المنطقة، يليه جبل المحمل بارتفاع 2321م، ثم جبل أحمر خدو بارتفاع 2000م، و جبل ايش بارتفاع 1809م، جبل بوعريف 1741م، بالإضافة إلى العديد من الجبال الأخرى مثل جبل ملالو، و الجبل الأزرق...⁴

1 - عبد القادر حليمي-جغرافيا الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)- المطبعة العربية- الجزائر- 1968- ص 37

2 - حسان حامد و آخرون- أطلس العالم الصحيح- دار الحياة- لبنان- 1985- ص 129

3 - جودة حسين جودة- أسس الجغرافيا العامة- منشأة المعارف- مصر- 2000- ص 153

4 - جمعية أول نوفمبر الأوراس و نظام التركيبة الاجتماعية 1837-1954- دار الشهاب- باتنة- 1988- ص 18

2-1 جبال الأوراس الغربية:

تشكل من جبال رفاعا بارتفاع 2170م، جبال الشلعلع بارتفاع 2100م، جبال مستاوة بارتفاع 1648م، إضافة إلى جبال أخرى مثل متليلي، بوطالب و غيرها¹.
و تجدر بنا الإشارة إلى أن سلسلة الأطلس الصحراوي تخترقها شبكة هيدروغرافية تتمثل في الأودية الكثيرة التي تنبع من قمم الجبال، و تعتبر من المظاهر التضاريسية الرئيسية في المنطقة، و تتجه إما إلى الجنوب أين تصب في شط ملغيغ بولاية المغير حاليا، و إما إلى الشمال حيث تصب في شطوط مثل شط سوق نعمان بولاية أم البواقي².
لكن نسجل هنا أن الأودية المتجهة نحو الجنوب هي الأكثر غزارة وطولا نظرا لطبيعة السلسلة الجبلية، و من أشهر تلك الأودية نذكر:

- أ- **الواد الأبيض:** يخترق هذا الوادي الجبل الأزرق و جبل أحمر خدو، و يفتح طريقا نحو الصحراء، ينبع من جبل شليا ثم يلف حول اشمول، فبضيق مجراه و يكاد يختنق ثم ينبسط من جديد في ضواحي قرية آريس، و منها يتجه نحو ولاية بسكرة جنوبا بالتوازي مع وادي عبدي، و تغذيه العديد من الروافد التي تنبع هي الأخرى من الجبال المجاورة، خصوصا بعد ذوبان الثلوج و تساقط الأمطار في فصلي الشتاء والربيع، يأخذ الوادي عدة تسميات حسب المناطق التي يجتازها.
يعد هذا الواد من أغزر الأودية الأوراسية³، و ربما استمد اسمه من الزبد الأبيض الذي يطفو على سطح مياه الوادي وقت الفيضان، لذا تم تسميته بالواد الأبيض.
- ب- **وادي عبدي:** ينحصر هذا الواد في حيز ضيق بين السلاسل الجبلية للأوراس المتوازية، و ينبع من جبل المحمل و يتجه هو الآخر نحو ولاية بسكرة جنوبا، في خط موازي لسابقه، غير أنه أقل غزارة من الوادي الأبيض و هذا راجع لقلة الروافد و التساقط⁴.
يسقي على مسافة 50 كلم أراضي ولاد عبدي و الذي أخذ تسميته من هذه القبيلة، و يمر على ولاد زيان و يسقي واحة بني سويك، و كذلك واحة جمورة، و بعد أن تحصره الجبال ينحني بعد ذلك نحو الجنوب، ليصل إلى واحة برانيس، من أهم روافد وادي عبدي نجد على الضفة اليمين وادي بوزينة، أما على الضفة اليسرى نجد وادي تاغيت و وادي نارة⁵.

1 - جمعية أول نوفمبر لتخليد و حماية مآثر الثورة في الأوراس - ثورة الأوراس 1916 - دار الشهاب - باتنة - الجزائر - 1996 - ص 30

2 - مسعود عثمان - المرجع السابق - ص 13

3 - حسان حامد و آخرون - مرجع سابق - ص 130

4 - علي موسى محمد - جغرافية القارات - دار الفكر - سوريا - 1982 - ص 416

5 - عبد النور غرينة - الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840-1939 - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر - باتنة - 2009-2010 - ص 23

و بالحديث عن المناخ، فيسود الأوراس مناخ متذبذب قد يعود إلى حركة الالتواء الجيولوجي التي لحقتها عوامل التعرية و الهدم بفعل المياه، فنتج عن ذلك مناخ ذو خصائص فريدة من نوعها و تشكل منه نوعان من المناخ شمالي و جنوبي، يمثل فيها بابر بجبل ششار الخط الأفقي الفاصل الذي يقطع بين إقليم البرودة و الرطوبة و بين إقليم الحرارة و الجفاف¹.

من الملاحظ أن مناخ شمال الأوراس لا يختلف عن مناخ الهضاب العليا إلا قليلا، حيث يتميز بشتاء جد بارد مع تساقط الثلوج خاصة على قمم الجبال كقمة شليا و المحمل ، والتي قد تستمر لأشهر الصيف ثم تذوب، مع هبوب رياح المسترال القادمة من أوروبا و تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر درجة مئوية².

أما صيفا فترتفع درجة الحرارة كثيرا خاصة في شهري جويلية و أوت، وحب رياح الشهيلي على المنطقة، و يؤدي ذلك أحيانا إلى الاضرار بالبساتين و الحقول الزراعية مع انتشار ظاهرة الجفاف فتوقف الأودية عن الجريان في الغالب³. بينما الإقليم الجنوبي من الأوراس فإن مناخه يتميز بالحرارة و الجفاف و يغلب عليه الطابع الصحراوي و لا تزيد كمية تساقط الأمطار به عن 200 مم سنويا.

و تماشا مع ما تم ذكره، فإن خصوصية المناخ المتذبذب جعلت الغطاء النباتي بجبال الأوراس يتمتع بظاهر فريد من نوعه، حيث نلاحظ أن قمم الجبال تزخر بغطاء نباتي كثيف يتركز أساسا في الغابات الصنوبرية⁴، و أشجار البلوط وكذا أشجار الأرز و الأحرش، و من أشهر تلك الغابات نذكر: غابة بن حلول، غابة بوعريف، غابة بلزمة، وغابة شليا، وهي جميعها حاليا محميات وطنية، نظرا لما تحتويه من قيمة طبيعية و سياحية.

ثم نجد أشجار الزيتون التي تحتل مع النخيل في منطقتي القنطرة و غسيرة، و في السفوح الجنوبية في ضواحي واحة غوفي أين نجد أشجار النخيل التي تعايشت مع أشجار الأرز، و بالتوغل أكثر نحو الجنوب توجد الواحات التي تتشكل على التخوم الجنوبية لجبال الأوراس، منها واحة طبران، الوجلة، و جمورة⁵.

أما بالنسبة للسهول فهي تقع في المنطقة الشمالية الغربية، التي تشمل سهل الوطاية و سهل القصور شمال القنطرة، و هو سهل فسيح ذو تربة غنية بالطمي و بالتالي فهو صالح للزراعة و الرعي إلى غاية حافته الشمالية في نواي مدينة رأس الماء.

ومما لا شك فيه أن السلسلة الأوراسية غنية بمجموعة لا بأس بها من الثروات المعدنية، مثل الملح الصخري، الرصاص، النحاس، الفوسفات، الحديد، تربة الإسمنت، البارود، و الزنك، بالإضافة إلى الأخشاب و الحمامات المعدنية⁶.

2- المميزات البشرية للأوراس:

1 - مسعود عثمانى - المرجع السابق - ص 13

2 - عبد النور غرينة - المرجع السابق - ص 30

3 - جمعية أول نوفمبر الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية - مرجع سابق - ص 29

4 - اليمين شعبان - تاريخ الأوراس من خلال جريدة الأوراس - منشورات متحف المجاهد - خنشلة - 2013 - ص 104

5 - عبد الله الشافعي - ثورة الأوراس 1916 - إنتاج جمعية أول نوفمبر - باتنة - الجزائر - 1996 - ص 35

6 - حسن السيد أحمد أبو العينين - أصول الجغرافيا المناضلة - الدار الجامعية - لبنان - 1982 - ص 224، 225

ذكرنا سلفاً أن منطقة الأوراس استقر بها الإنسان منذ القدم، و أخذ في تعميرها عند طريق بناء المداشر و القرى على سفوح الجبال و ضفاف الأودية، و خصوصاً وادي عبيدي و الواد الأبيض و كذا الواد الأحمر، و قد اعتمد الإنسان الأوراسي على: تخطيط القرى و المداشر على نحو يساعد باستغلال الموارد الطبيعية و المتوفرة في المنطقة، و أسلوب خاص يتماشى و الظروف الطبيعية السائدة، و عموماً فإن المنازل كانت تبنى على سفوح الجبال باستعمال الحجارة للجدران، أما السقف فستعمل أخشاب الأشجار المتوفرة في المنطقة.

كما أنه يلاحظ أن المنازل لا ترتفع كثيراً عن سطح الأرض و تأخذ الشكل إما المستطيل أو المربع، و تكون مفتوحة إلى ساحة أمامية مع أبواب و نوافذ صغيرة، و هذا حتى تلائم الظروف المناخية السائدة، ثم تطور المخطط مع الزمن، سواء من حيث الغرف أو كيفية البناء و حتى الاستعمال¹.

تم بناء القرى في منطقة الأوراس سابقاً حتى تكون متقاربة من بعضها البعض، و هذا بهدف الدفاع و الحماية و تقديم يد العون لبعضها في حال وجود الخطر، و كما يقال على بعد صوت الرجل*، و كانت كل قرية تتوفر على الملحقات و المرافق التالية:

أ- **القلعة:** تبنى في مكان مرتفع و حصين، تكمن مهمتها الأساسية في تخزين المؤونة و حراسة القرية و سكانها من كل خطر، و في الغالب تسمى كل قلعة باسم القبيلة التي تحرسها، أو باسم الشخص الذي تولى مهمة بنائها.

ب- **المقبرة:** تعد مرفقاً آخر ضروري التواجد في كل قرية لدفن الموتى، و تكون بعيدة نوعاً ما عن السكان، و لكل قرية مقبرتها.

ج- **الصهريج (الخزان):** و هو بناء أخذ الشكل المستطيل أو المربع في الغالب، يحفر في الأرض و تبنى جدرانها جيداً حتى لا تتسرب منه المياه، و يكون في منطقة مرتفعة حتى تنساب منه المياه المجمعة بسهولة إلى البساتين و تخرج منه عدة سواقي، أما وظيفته فهي جمع المياه القادمة من الينابيع ليلاً ليوزع على بساتين القرية، بنظام محكم أثناء النهار و هذا خاصة خلال فصل الصيف و مواسم الجفاف².

د- **المسجد:** تتوفر كل قرية على مسجد خاص بها، و يكون في مكان مرتفع تؤدي إليه أزقة القرية، يستخدم لأغراض دينية و تعليمية و اجتماعية، و عن بناءه فإن جميع أفراد القرية يساهمون في إنجازه و صيانه و نظافته.

هـ- **النادر:** و هو المكان الذي تجمع فيه سنابل القمح و الشعير بعد حصادها استعداداً لدرسها بالحيوانات، و غالباً ما يأخذ الشكل الدائري.

و- **الرحا:** وهي المكان الذي تطحن فيه الحبوب، و تكون في مجرى الوادي أو الشلالات المتدفقة، لأنها تدار بقوة المياه.

ز- **الساحة العامة:** وهي المكان الذي يلعب فيه الصغار ويلتقي فيه الكبار بأوقات الفراغ - القليلة - و كذا التي تقام بها الحفلات و تذبح فيها الأضاحي.

1 - جمعية أول نوفمبر الاوراس و نظام التركيبة الاجتماعية- المرجع السابق- ص 29

* مثال ذلك قرى وادي عبيدي (قرزة، أولاد عزوز، أثلاث، تزغنين، ثنية العابد، ثنية المطحنة، انادر، أربيع، شير، شاملة، منعة، ورقة، أمنطان) و يلاحظ أن القرى تسمى باسم الأعراس المستقرة بها أو الأماكن و يميزها.

2 - السعيد تريعة- دراسة أثرية لمنشآت الري القديمة جنوب الأوراس- منشورات متحف المجاهد- خنشلة- 2013- ص 48

ح- معصرة الزيتون: و هذا بالقرى التي تنتج هذا المحصول، وهي قليلة بالمنطقة.

مارس سكان الأوراس أنشطة إقتصادية نذكر منها:

1-2 الزراعة:

ما يلاحظ على منطقة الأوراس هي كونها منطقة جبلية، ما يعني قلة الأراضي الزراعية، وإن وجدت فهي قليلة الخصوبة، ولذلك كانت الأرض و لازالت ذات أهمية كبرى في وجدان الرجل الأوراسي، ارتباطه بها جد كبير لأنها تعد أساس وجوده. وعموما، فإن الزراعة تمثلت بالأساس في البساتين التي كانت على ضفاف الأودية والتي تعتمد على الري بمياهها و غرس الأشجار المثمرة كالزيتون¹، المشمش، التفاح، الإجاص، التين، وكذلك أشجار الجوز، إلى جانب ذلك نجد الحقل كالبطاطا، البصل، الثوم، وكذا البقول.

أما في الواحات على التخم الجنوبية فقد ركز بالأساس على أشجار النخيل ثم الحبوب و البقول². كما يزرع الإنسان الأوراسي القمح والشعير بالمناطق المستوية التي نجدها بين الجبال، وعلى سفوحها، وهي في الغالب تعتمد على مياه الأمطار، مما جعل المحصول يرتبط أساسا بمدى تساقط الأمطار خاصة في شهري أفريل و ماي³. أما فيما يتعلق بالوسائل المستخدمة في عملية الزراعة، فقد اعتمد الأوراسي على الوسائل البسيطة التقليدية و التي ينتجها بيده كالحراث الخشبي، و المعول، و تناقلتها الأجيال عبر التاريخ ولم تدخل الآلات نظرا لصغر المساحات وقلة عمق التربة و الخصوبة. لكنه حاليا ولما توجه سكان الأوراس إلى زراعة شجر التفاح التي اشتهرت بها منطقة الأوراس و وصلت حتى العالمية، فقد أصبح الفلاح يستخدم الطرق الحديثة و العلمية، سواء في إنتاج الشتلات أو في استخدام الميزات، و حتى التخزين و التسويق⁴. كما أن الفلاح في الأوراس ونظرا لقلّة خصوبة التربة واستخدام الأسمدة فهو يعتمد على زراعة التناوب، خاصة بالنسبة للحبوب حيث يريح كل سنة قطعة أو أكثر ويقوم بزراعتها في السنة المقبلة، ويستخدمها في المقابل كمرعى للحيوانات، ضف إلى ذلك أنه يزودها بالسماد الحيواني حتى تعطي منتوجا أوفر⁵.

كما أن هذا النشاط الزراعي إستعان فيه الإنسان الأوراسي بالحيوان الذي كان مساعده الأول سواء في عملية الحرث، أو الدرس، أو لنقل المنتوج، و في الغالب هي البغال و الحمير⁶.

2-2 تربية الماشية:

1 - جمعية أول نوفمبر الأوراس و نظام التركيبة الاجتماعية- مرجع سابق- ص 30

2 - محمد الصغير غانم: تراث منطقة بسكرة التخم الأوراسية- مطبعة قري- الجزائر- د.ت- ص 62

3 - نور الدين طيبش- من مظاهر النشاط الاجتماعي بالأوراس الزراعي و بعدها التاريخي- منشورات متحف المجاهد- خنشلة- 2013- ص 88

4- جمعية أول نوفمبر الأوراس التركيبة الاجتماعية- مرجع سابق- ص 65

5 - الوثائقي- القناة الثالثة للتلفزيون الجزائري- جويلية 2019.

6 - ناصر الدين سعيدوني- دراسات في الملكية العقارية- م وك- الجزائر- 1986- ص 60

تعد تربية الماشية نشاطا فلاحيا هاما لا يقل أهمية عن الزراعة، بل هو مكمل لها ركز عليه الإنسان الأوراسي، وقد نجده لدى البعض يأتي في المرتبة الأولى قبل الزراعة، خصوصا في المناطق الجبلية الفقيرة للأراضي الزراعية، ذلك أن تربية الماشية توفر مصادرا هاما للعيش كالحليب والأجبان، اللحوم، الصوف و الشعر والبيع و المبادلة.¹

و على العموم فإن الأغنام و الماعز هي أكثر الحيوانات تربية في الأوراس، و ذلك يعود لملاءمة التضاريس و الطقس و توفر الأعشاب سواء في المرتفعات أو الأودية، و يمارس الرعاة رحلة الشتاء إلى التخوم الجنوبية هروبا من قر الشتاء، و رحلة الصيف إلى المناطق الجبلية بعد ذوبان الثلوج و توفر المراعي.

و في الغالب تكون القطعان كثيرة العدد، كما يقوم عدد معتبر من أفراد الأسرة الأوراسية بحمايتها و رعايتها. كما يربي الأوراسي الأبقار و لكن بأعداد أقل نظرا لكونها تتطلب مراعي واسعة و منبسطة و هذا ما لا يتوفر في العديد من المناطق الأوراسية.²

إلى جانب الأغنام و الأبقار، نجد تربية الخيول و البغال و الحمير، و هذا للاستعانة بها في أعمال الزراعة — كما سبقت الإشارة — أو في التنقل و الترحال، خاصة و أن المنطقة ذات طبيعة جبلية وعرة، و كذلك في المبادلات التجارية بين قرى و أرياف الأوراس، هذا إلى جانب تربية النحل المنتج للعسل الرفيع الجودة.³

لكنه حاليا ولما توجه سكان الأوراس إلى زراعة شجر التفاح التي اشتهرت بها منطقة الأوراس و وصلت حتى العالمية، فقد أصبح الفلاح يستخدم الطرق الحديثة و العلمية، سواء في إنتاج الشتلات أو في استخدام الميزات، و حتى التخزين و التسويق.⁴

كما أن الفلاح في الأوراس ونظرا لقلّة خصوبة التربة واستخدام الأسمدة فهو يعتمد على زراعة التناوب، خاصة بالنسبة للحبوب حيث يريح كل سنة قطعة أو أكثر ويقوم بزراعتها في السنة المقبلة، ويستخدمها في المقابل كمرعى للحيوانات، ضف إلى ذلك أنه يزودها بالسماذ الحيواني حتى تعطي منتوجا أوفر.⁵

كما أن هذا النشاط الزراعي إستعان فيه الإنسان الأوراسي بالحيوان الذي كان مساعده الأول سواء في عملية الحرث، أو الدرس، أو لنقل المنتوج، و في الغالب هي البغال و الحمير.⁶

3-2 تربية الماشية:

1 - جمعية أول نوفمبر الاوراس التركيبية الاجتماعية- مرجع سابق- ص 71

2 - نفسه- ص 72

3 - نفسه- ص 82

4 - نفسه- ص 65

5 - الوثائقي - القناة الثالثة للتلفزيون الجزائري - جويلية - 2019.

6 - ناصرالدين سعيدوني- دراسات في الملكية العقارية- م وك- الجزائر - 1986- ص 60

تعد تربية الماشية نشاطا فلاحيا هاما لا يقل أهمية عن الزراعة، بل هو مكمل لها ركز عليه الإنسان الأوراسي، وقد نجده لدى البعض يأتي في المرتبة الأولى قبل الزراعة، خصوصا في المناطق الجبلية الفقيرة للأراضي الزراعية، ذلك أن تربية الماشية توفر مصادرا هاما للعيش كالحليب والأجبان، اللحوم، الصوف و الشعر والبيع و المبادلة.¹

و على العموم فإن الأغنام و الماعز هي أكثر الحيوانات تربية في الأوراس، و ذلك يعود لملاءمة التضاريس و الطقس و توفر الأعشاب سواء في المرتفعات أو الأودية، و يمارس الرعاة رحلة الشتاء إلى التخوم الجنوبية هروبا من قر الشتاء، و رحلة الصيف إلى المناطق الجبلية بعد ذوبان الثلوج و توفر المراعي.

و في الغالب تكون القطعان كثيرة العدد، كما يقوم عدد معتبر من أفراد الأسرة الأوراسية بحمايتها و رعايتها. كما يربي الأوراسي الأبقار و لكن بأعداد أقل نظرا لكونها تتطلب مراعي واسعة و منبسطة و هذا ما لا يتوفر في العديد من المناطق الأوراسية.²

إلى جانب الأغنام و الأبقار، نجد تربية الخيول و البغال و الحمير، و هذا للاستعانة بها في أعمال الزراعة — كما سبقت الإشارة — أو في التنقل و الترحال، خاصة و أن المنطقة ذات طبيعة جبلية وعرة، و كذلك في المبادلات التجارية بين قرى و أرياف الأوراس، هذا إلى جانب تربية النحل المنتج للعسل الرفيع الجودة.³

4-2 الصناعة التقليدية:

مارس الأوراسي منذ قرون قديمة الصناعة بشكلها التقليدي كغيره من شعوب العالم، حتى يوفر لنفسه ما يحتاج إليه من مواد أساسية في حياته اليومية، و من بين الصناعات التي مارسها نذكر:

أ- صناعة الطين و الفخار: التي توفر الأواني المنزلية التي تحتاجها الأسرة الأوراسية، و في الغالب تكون المرأة هي المكلفة بهذا النوع من الصناعة.

ب- صناعة الجلود: وهي ذات أهمية لما توفره من أدوات منزلية سواء للطبخ أو التخزين أو حتى اللباس و الأحذية، و كذا صناعة لوازم الحيوانات و خاصة بقرية منعة.⁴

ج- صناعة النسيج: و كانت تقريبا في كل بيت أوراسي نظرا لتوفر المادة الأولية من صوف و شعر و حلفاء، إذ تنتج اللباس، الأثاث المنزلي، و لوازم الفلاحة و النقل.

د- بالإضافة إلى الخيام التي يستعملها الأوراسي في رحلة الشتاء نحو تخوم الجنوب الصناعات الخشبية و الصناعات الخشبية المنتشرة بقرى الأوراس نظرا لتوفر الأخشاب⁵ و جذوع النخيل، ونسيج الأثاث المنزلي بالإضافة إلى أدوات الزراعة المختلفة

1 - جمعية أول نوفمبر الأوراس التركيبة الاجتماعية- مرجع سابق، ص 71

2 - نفسه- ص 72

3 - نفسه- ص 82

4 - Joseph Roland - Etude sur la communemiste de L'Aures impremerie typographique - A.Bean - Batna - 1894 - p 27.

5 - عبد الحميد زوزو- الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية 1837-1939) ع1- تر مسعود حاج مسعود- دار هومة- الجزائر- 2005- ص 293

هـ- صناعة الحلي: وهي موجودة بالأوراس منذ القدم و تعد من تراثها الهام صناعة الفضة و تنتج لوازم الزينة للمرأة الأوراسية.⁵

2-5 التجارة:

مارس الإنسان الأوراسي منذ القدم التجارة و كانت في البداية تتم على أساس المقايضة، حيث ينقل الأوراسي ببضاعته الزائدة عن الحاجة و الموجهة للتبادل إلى القرى المنتشرة في الزيبان، حيث يبادل الخضر و الفواكه التي تنتجها بسائنه من تفاح و عنب و تين مخفف، و كذا ثمرة البلوط .

و بالمقابل يحصل على التمر الذي يعد غذاء هاماً للأوراسي، خاصة في فصل الشتاء الطويل و البارد ، كما تتوجه إلى القرى الشمالية من الأوراس للحصول على الحبوب التي تنتجها حقول قسنطينة و قالمة.¹

و بذلك يوفر الأوراسي احتياجاته، كما تتم المبادلات في الأسواق الأسبوعية و الموسمية التي تقام في القرى و الساحات العمومية، و هناك تعرض مختلف السلع و كذا الحيوانات للبيع و الشراء.

و مع التطور الزمني، دخل لنقد و أصبحت التجارة تتم بواسطة النقود التي اختلفت باختلاف العصور.

خاتمة:

و على العموم، فإن الدراسة تخلص إلى النتائج التالية:

- استقر الإنسان في منطقة الأوراس و عمرها، مقيماً بذلك القرى و المداشر على سطوح الجبال و ضفاف الأودية، مستغلاً توفر المياه و التربة الخصبة منذ أقدم العصور، و لا يزال يقيم بها إلى الوقت الحاضر.
- ارتبط الإنسان الأوراسي ارتباطاً وثيقاً بأرضه و قطعانه، و دافع عنها بكل ما يملك، و قد صدق من وصفها: " فهي مرتفعات مناهضة لمن يباشر لها لأول مرة، و هي النعيم لمن يعيش بها أو يعيرها مسالماً، لأنها ضد العدو الذي يهاجمها، توفر لسكانها مناطق محصنة و مواقع دفاعية متعددة".
- مارس الأوراسي أنشطة اقتصادية متعددة كالزراعة و الصناعة و التجارة، و أقام المسالك بين القرى المتقاربة، و حقق بالتالي اقتصاداً معاشياً جعله يواصل الاستقرار و التعمير للمنطقة رغم قساوتها الطبيعية و المناضلة.
- عرف عن الإنسان الأوراسي حب الحرية و عدم الخضوع لدى سلطة استعمارية، و قاوم الدخلاء منذ القدم بداية بالرومان و انتهاء بالفرنسيين و ما ثورة أول نوفمبر الخالدة إلا دليلاً على ذلك.

- لا يزال الأوراسي مستقرا بالمنطقة حتى الآن مستغلا إمكانياتها خاصة الزراعة الجبلية التي تتوسع اليوم منتجة أنواعا مختلفة من التفاح الذي ذاعت شهرته و غزى الأسواق الإقليمية خاصة أسواق الشرق الأوسط لما له من جودة عالية.

● الهوامش:

- 1- أبو العينين حسن السيد أحمد- أصول الجغرافيا المناضلة- الدار الجامعية- لبنان- 1982.
- 2- أمزيان وناس- الانصهار الثقافي الأمازيغي في منطقة الأوراس و تأثيره في هوية السكان- مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية-د.ت.
- 3- تريعة السعيد- دراسة أثرية لمنشآت الري القديمة جنوب الأوراس- منشورات متحف المجاهد- خنشلة- 2013.
- 4- جمعية أول نوفمبر- نوفمبر بالأوراس و نظام التركيبة الاجتماعية 1837-1954- دار الشهاب- باتنة- 1988.
- 5- جمعية أول نوفمبر لتخليد و حماية مآثر الثورة في الأوراس- ثورة الأوراس 1916- دار الشهاب- باتنة- الجزائر- 1996.
- 6- جودة حسين جودة- أسس الجغرافيا العامة- منشأة المعارف- مصر- 2000.
- 7- حامد حسان و آخرون- أطلس العالم الصحيح- دار الحياة- لبنان- 1985.
- 8- حلومي عبد القادر- جغرافيا الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)- المطبعة العربية- الجزائر- 1968.
- 9- زوزو عبد الحميد- الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية 1837-1939)- ع1- تر مسعود حاج مسعود- دار هومة- الجزائر- 2005.
- 10- سعيدوني نصر الدين- دراسات في الملكية العقارية- م وك- الجزائر- 1986.
- 11- الشافعي عبد الله- ثورة الأوراس 1916- إنتاج جمعية أول نوفمبر- باتنة- الجزائر- 1996.
- 12- شعبان اليمين- تاريخ الأوراس من خلال جريدة الأوراس- منشورات متحف المجاهد- خنشلة- 2013.
- 13- طيبش نور الدين- من مظاهر النشاط الاجتماعي بالأوراس الزراعي و بُعدها التاريخي- منشورات متحف المجاهد- خنشلة- 2013.
- 14- عثمان مسعود- أوراس الكرامة و أمجاد و أنجاد- دار الهدى- عين مليلية- الجزائر- 2008.
- 15- غانم محمد الصغير- تراث منطقة بسكرة التخوم الأوراسية- مطبعة قرني- الجزائر- د.ت.

- 16- غرينة عبد النور- الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840-1939- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر- باتنة- 2009-2010.
- 17- محمد موسى علي- جغرافية القارات- دار الفكر- سوريا- 1982.
- 18- الوثائقي- القناة الثالثة للتلفزيون الجزائري- جويلية- 2019.
- 19- ونيسي محمد الصالح- الأوراس تاريخ و ثقافة- الطباعة العصرية- الجزائر- 2007.
- 20- Joseph Roland - Etude sur la communemiste de L'Aures impremrie typographique- A.Bean- Batna- 1894.